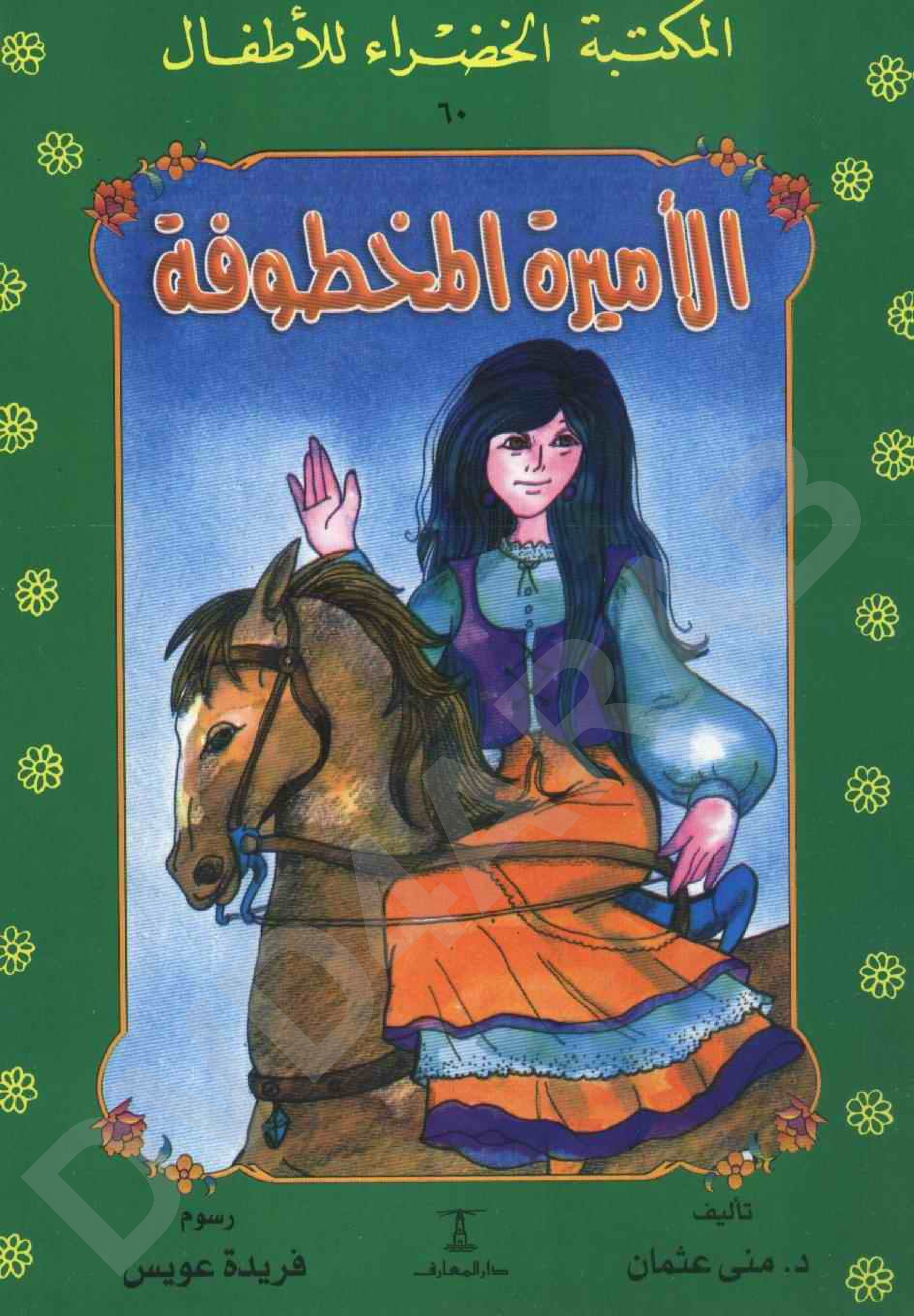

المكتبة الخضراء للأطفال
٦٠
الأميرة المخطوفة
تأليف
د. منى عثمان
دار المعارف
رسوم
فريدة عويس

المكتبة الخضراء للأطفال



الأميرة المخطوفة



تأليف
دكتورة منى عثمان

رسوم
فريدة عويس



كَان يَامَا كَان، فِى قديم الزّمَان فِى، قريَةٍ صَغيرةٍ بَعِيدَةٍ تعيشُ أُسرةٌ صَغيرَةٌ، مكوّنَةٌ مِنْ فتَى عُمره خمسَـةَ عَشَـرَ عَاماً اسْمُه فَهْد، وأُخْته الَّتِى تَصْغُره بعامَيْنِ اسـمها لَيْلَى، ووَالدتهُمَا القَرويّةُ الطّيبَةُ الحنُونُ الَّتِى يُنَادِيهَا أَهلُ القريَةِ «أم فهد».

كانَ بيتُهُمُ الرِّيفى يقعُ وسـطَ بيوتِ الفلاّحينَ المتناثِرَةَ هُنَا وَهُناك .. وكانَ يُحيـطُ بالبيتِ مزرعَةٌ صَغِيرةٌ .. وعَلَى جانبِ المزرَعَةِ يُوجدُ إسطبْلٌ صَغيرٌ بِهِ جَوادَانِ، أحدهمَا اسْمُه لَيْل، وكانَ أَسْودَ سَوادًا حَالكًا كاللّيلِ، وفَرسة اسمها شَـهْباء .. بُنيّةُ اللّونِ، لامِعَة جَمِيلة المنظَرِ، وَفِى جَبِينهَا بقعةٌ بيضاءُ زَادتْهَا جمَالاً عَلَى جَمالهَا.

وَفِى الأُمسيَاتِ الدَّافئـةِ، كانَ فهد وليلـىَ يمتطيَـان الجَوادَيْن، ويتجوّلانِ فِى الأحـراشِ المحيطَةِ بالقريَةِ، يتنزَّهانِ ويجمعَانِ بعضَ الأعشَابِ والزهُور البريّة التِى يَسْتخدمونَهَا فِى صناعَةِ الصَّابون ..فَقدْ كانَ أهـلُ القريَةِ - جَمِيعاً- يعيشُـونَ مِنْ هَـذِه الصِّناعَةِ، وكَانتْ هَذِه الأُسْـرَةُ تقومُ بعملهَا باجتهَادٍ وَحُبٍّ، فتفوّقُوا عَلى جميعِ أهلِ القريَةِ فِى هَذِه الصناعَةِ البسيطَةِ.

كانَ فهد يذهبُ كُلَّ أسبوعٍ إِلَى السـوقِ البعيدِ، ليبيعَ مَايُنتجونَهُ مِنْ صَابون ومحَاصِيلَ زِرَاعيّة وَيشـترِى مَا يحتاجُونَ إليْهِ منَ الأقمشَةِ وَالأوانِى المنزليّةِ والسـكّرِ والاحتياجَاتِ الأُخـرى الّتِى تُوصِيه بهَا والدتُه وأُختُه. وكثيراً مَا كانتْ ليلىَ تتشـبّثُ بِه وَتُصمّمُ علَىَ الذهاب مَعَـهُ إِلَى السـوقِ، فيأْمرهَا بارتدَاءِ بعضاً مِنْ مَلاَبسـه، ويلفُّ عمامَةً



صغيرةً لتخْفى خَصلات شعرهَا الفاَحِم الطوِيلِ فتظْهرَ بمظهرِ الفتيانِ، وَذلكَ لخوفِهِ عليْهَا مِنْ أَنْ يُصيبهَا مَكروهٌ أوْ أَذًى مِنْ شرارِ الناسِ.

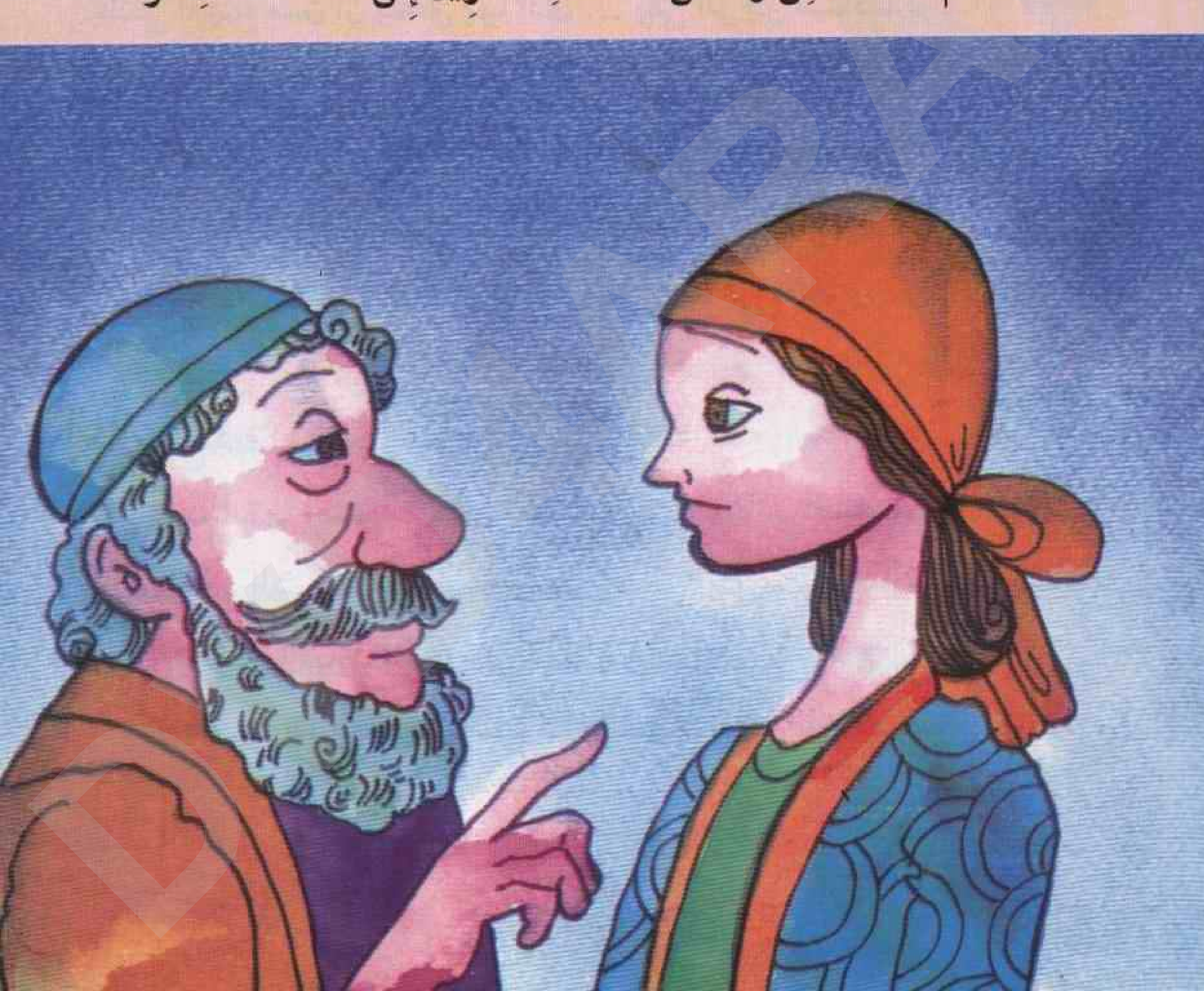
وَفِى إحْدَى الأمسياتِ، بينمَا كَانتِ الأُمُّ جالسَةً تجاذِبُ وَلديْهَا أطْرَافَ الحديثِ ظهرَ رجلٌ ضخمٌ، أسنانُهُ بَارزة بشكلٍ مُخيفٍ، وَتبدُو الغِلظَةُ والشراسَةُ عليْهِ... وَمَا إن رَأتهُ الأَمُّ حتَّى قفزتْ مِنْ مكانِهَا وَارتدّتْ للخلفِ مَذْعُورة.

- أُوه... أَهذَا أَنت؟.

تسمّرَ الصغيرَانِ مكانهمَا وهمَا لا يفقهَانِ شيئاً.

ارتفعَ صوتُ الرجلِ الأَجشّ وهوَ يتقدّمُ مِنَ الأُمِّ:

- نَعَم أَنَا بشحْمِى وَلَحْمى ... مَالكِ تنظرِينَ إلىّ هكَذَا؟ أَلستِ فرحَة



لعودَتى بعدَ الغيابِ الطَّويل؟!.

التفتَتِ الأمّ لولديهَا وقالتْ بلهجَة حزينةٍ:

- هيَّـا إلى الداخلِ مَـعَ وَالدكمَا .. تَقَدَّمهُم الرجلُ بخطًى سـريعةً ثابتـةً إلى داخل البيتِ .. وتبعُوهُ بخطًى بطيئةً خائفَة وَهُم يتبادلون نظراتٍ مملوءَة بالدهشَـة والخـوْف .. ثُمَّ التفتَ الرجـلُ إلَى أمِّ فهد وبلهجَةٍ آمرةٍ قَالَ:

- دَعيهم يَخْلدونَ للنومِ فَلِى حديثٌ معَكِ ..

أومَأتِ الأم برأسِهَا فانصرفَا إلى الغرفةِ المجَاورَة، ولكنَّ كُلاً منهمَا لَمْ يُحَاول الاسْتِرْخَاءَ فِى فراشِهِ، وإنمَا كانَا يَسْتمعَانِ لحَديثهمَا، خوفاً عَلَـى أمهمَا مِـنْ أَنْ يلحقَ بهَا أذى ... بقىَ الرجلُ سَـاكناً برهَةً وَالأمُ تُطالعه بقلقٍ وخوفٍ ثُمَّ قَالَ:

- تعلَمِينَ أن هذهِ الفتاة ليسَـت ابنتنَا... تشـبَّثَتْ كَفَّا ليلىَ وَفهد، وتبادلاَ نظرةً ذَاتَ مَعْنى وَقدِ اتَّسَعت أَعينُهُم ...

جاءَ صوتُ الأُم ضَعيفًا... وَلكنكَ ألقيتَ بِهَا فى حجْرِى منذُ أَنْ كَانت رَضيعَة...

فصاحَ فيهَا بغضَب :

- نعمْ أيتهَا الشقيةُ، فقدِ اختطفهَا أَحدُ أَصدِقائى الماهرينَ مِنْ أبيهَا ملكِ البلادِ الشّرقيةِ بمسَـاعدَةِ أَحدِ رجَالِ القصْرِ، ليطلبَ فديةً كبيرَةً مُقابل إعادتها لبلادِهَا.. ونظرَ إليهَا بحسْرةٍ ثُمَّ أَكملَ حَدِيثَهُ وَقَال:

- وَكَانُـوا سـيعْطُوننى ثلثَ هذه الفديَة، ولكنْ للحـظِّ التَّعس مَاتَ

صَدِيقى قبلَ أنْ يكشفَ لِى عَنْ شخصيَّةِ شَرِيكِه... فماذَا كنتُ أفعلُ؟

هَلْ أعيدهَا للملكِ حتَّى يقطعَ رَقَبتى.. صاحت فيهِ الأُمُّ وَهِىَ تبْكى:

- يَالكُم مِنْ مُجْرِمين.. اخْتطفْتُم هَذِه المسْكينةَ مِنْ أبيهَا ملكِ البلادِ الشَّرقيّةِ.. لَمْ تخبِرْنى بهذَا مِنْ قبل ؟!

زَمْجَرَ الرجلُ مُهددًا:

- لاَ أريدُ أيةَ مَشَاكل فِى حَيَاتى.. ألَقى بهَذِه الشقيّةِ خارجَ البيتِ، ويَكْفِى أننِى ابتعدتُّ عن البيت سنَواتٍ طَوِيلَة..

صَرَخت المرأةُ بغضَبٍ وَهِىَ تبكِى:

- ليتكَ لَمْ تعدْ أبدًا...

فلطمهاَ بقَسوةٍ.. وَانطلقَ فهد ليَحُولَ بينَهُ وبينَ أُمِّه الَّتِى لَمْ تَكفَّ عَن الاتهامَاتِ والصياحِ، والأَب يُزمجرُ ويحَاوِل ضربهَا لولاَ وجودُ فهد الَّذِى أمسكَ بيدِه بقوةٍ وصَاحَ فِيه:

- اخرجْ مِنْ هُنَا ..

نظرَ إليهِ الأَب بتحَدٍّ واسْتهزَاءٍ وَقَالَ:

- لَنْ أخرجَ أيهَا الولدُ الَّذِى لَمْ تُحسن أُمك تَرْبيتكَ... كيفَ تطرُدُ أبَاكَ وَلَمْ يبقَ لَهُ مَلاَذٌ إلاَّ هذَا البيْت؟!

جَذَبتهُ أُمه إِلى الخلفِ ثُمَّ جلَستْ عَلَى أحدِ المقاعِدِ وَاحْتَضَنتهُ وَهىَ تبكِى بكاءً مُرًّا... ثُمَّ كَفَّتْ فجأةً عنِ البكاءِ، وكأنهَا تذكَّرَت شيئاً وَتَساءلت بخوْفٍ:



- هَلْ سَمِعت ليلَى شيئًا ؟! هَزَّ فهد رأسَـه بالإيجَابِ فِى صمتٍ حزيـنٍ.. وَانطلقتِ الأُمُّ للغرفـةِ فَوَجدتهَا خَالِيَـة.. فَصَاحت بهلَع.. فهد.. ابحثْ عنهَا بالخارِج.. انطلقَ فهد لِتوِّهِ فلَمْ يجدْ أحداً..

ثُـمَّ خطـرَ لهُ خاطـرٌ، فانطلقَ لحظيـرةِ الجيادِ، فلمْ يجدْ شَـهْباءَ مكانَهَا... وَظَهرت لَـهُ الحَقِيقَة المؤلمَةُ.. ليلى تركَت البيتَ ممتطيَةً شـهبَاءَ وَحيدةً فِى ظلام اللَّيلِ.. اندفعَ كالمجنونِ يمتَطِى حِصَانَهُ لَيْل، وانطلقُ إِلَى الأحَراشِ المحيطَةِ، يبحثُ عَنْ ليلَى وصوْتُ أُمه يأتيهِ مِنْ خَلفه عَالياً وهِىَ تُنَادِيه، وهُوَ لاَ يستطيعُ التوقُّفَ ليلحقَ بأُختِه..

كَانت ليلَى تَمْتطى صهوةَ شـهبَاءَ ودموعُهَا تتساقطُ بغزَارة، ونسيمُ



اللَّيلِ البارِدِ يلفحُ وجهَهَـا الصَّغِيرَ.. ظَلَّت فِي انطلاقهَا حتَّى اقتربَت مِنَ النهرِ الكَبِيرِ..

وهناكَ رأَتْ رجالاً كثيرينَ يركبونَ ويحملونَ مَتاعهم، فَبسرعَةٍ أمسَكت بالشَّالِ الذِى كَانت تلتفُّ به، وَلَفَّته كالعمَامَةِ حولَ رأسهَا وَهمسَت إلى شهباءَ لتبتعِدَ سَرِيعاً، ولكنْ لِسوءِ الحَظِّ لمحهَا بعضُهم، وَلحقُوا بهَا سَرِيعاً وَأمسكُوا بهَا، فتساءَلَ أَحدهُم باسْتغرابٍ: فَتًى صَغِير؟

صاحَ بِهَ الآخرُ:

- يَالكَ مِنْ فَتًى جَرِئ، أتأتى لهَذِه البقعَةِ وحيداً؟!

ثُـمَّ التفتَ إلَى الآخرِينَ: انظُروا يَا رفَاقِي وَجدنَا رِبحاً وفيراً.. فتىً يمتطِى حصاناً هنَا.. عَلَت صيحاتُ رِفاقِه الفَرِحَة، وقلبُ ليلىَ يضطرِبُ مِنْ الخوفِ وَهى لاَ تدرِى مَاذا يقصدُونَ بِكَلاَمِهِمْ هَذَا؟!

وَسُرْعان مَا انقضُّوا عليهَا وَأَحكمُوا وثاقَ يديهَا ورجليهَا وَكَمَّموا فَمَهَا حتَّى لاَ تستطيعَ الصُّرَاخ ... وَسَحبوا مَعَهم فَرَسَتهَا شَهْباء الَّتِى حَاوَلت عَدَمَ الانصِيَاعِ لَهُم، فأخذُوا يلكزونَهَا بعنفٍ حتَّى شَعَرت بألم شديدٍ.

وَاضْطرَّت إلَى الذَّهابِ مَعَهم.. سَارت قافلَةُ اللُّصوصِ حَتَّى وَصَلت إلَى شَاطِئِ النَّهْرِ...

وهناكَ اسْتأجروا قَارِباً كَبِيراً، حَتَّى وصلُوا إلَى اليابسَةِ بالبلدَةِ الغَرِيبَةِ، فأسرعُوا جَمِيعاً بِالنزُول...

وَبالقربِ مِنَ الميناءِ كانَ هناكَ سُوقاً مُزْدحماً، بِهِ أُناسٌ كثيرُونَ فِى انتظار تلـكَ القافلَةِ اللَّعينةِ وغيرهَا مِنَ القوافِـلِ المُمَاثلَةِ ... وأخيرًا

فَهِمت ليلَى ماذَا يُرِيدونَ ... كَانُوا تجاراً للعبيدِ أخذُوا يصيحُونَ بِمِلْءِ أفوَاهِهم:

- فتًى قَوِيٌّ يَستطيعُ العملَ ليلاً وَنهاراً.. فتًى مطيعٌ، جَمِيلُ الصُّورةِ مَنْ يدفعُ فيهِ سَبْعِين ؟! درهماً...

صاحَ أحدُ الوَاقفين:

- أهذَا الصَّغيرُ النحيلُ يستطيعُ العملَ ليلاً ونهاراً؟!!

أظنُّ أَنه سَينكفِئُ عَلَى وجههِ بعدَ ساعةٍ واحدةٍ مَنَ العَمَل...

ضَجَّ الواقِفُونَ بالضَّحك... تحيَّرَ التاجرُ ونظرَ لليلَى، ثُمَّ نظرَ إِلى شهباءَ

- وصاحَ إِذَنْ مَنْ مِنْكُم يريدُ الفرَس؟

تدافعَ الناسُ لشراءِ الشهباءِ، وأخذُوا يزيدونَ فِي سعرهَا حتَّى وصلَ إلى مائتى درهم.

أَمَّا ليلَى المسْكِينة فبعدَ أنْ ذهبَ الناسُ جَمِيعاً إِلَى شُئُونهم، اقتربَ رجلٌ مُسنٌّ يتوكَّأُ عَلَى عَصَاهُ، وأَخذَ يُحمْلقُ فيهَا، ثُمَّ سَألَ تاجر الرقيقِ



بصوتٍ ضعيفٍ:

- بكَمْ تبيعُ هذا الفتَى؟

- بِسبْعين درهماً - فقط - مِنْ أجلكَ - أنتَ - أيها الشَّيخُ الطَّيب...

تقلّصت ملامحُ العجُوز، واستدارَ ببطْء، ليعودَ أدْراجهُ فَناداهُ التَّاجرُ:

- لاَ عليكَ أيهَا الشيخُ بِكَمْ تُريده؟

استدارَ إليهِ الشيخُ العجوزُ وَأجابه ببطْء:

- ليسَ مَعِى إلَّا خمسَةَ عَشَرَ دِرْهماً...

ظهَرَتْ خيبَةُ الأملِ عَلى وجهِ التَّاجرِ وفتحَ فَمَهُ ليرفُضَ، إلاَّ أنَّ زميلَهُ لكَزَهُ بخفّةٍ وهمَسَ إليْهِ وَقَالَ:

- لنتخلَّصَ مِنْ هذَا الفتَى سَرِيعاً؛ لأَنَّهُ سوْفَ يُكلفنَا طعاماً وشراباً ونحنُ فِى عجلَةٍ مِنْ أمرنَا... نريدُ الذّهابَ لخطْفِ بضاعَةٍ جديدةٍ..

فدفعَ تاجرُ الرقيقِ بليْلَى إلَى الشيخِ، وقبضَ الخمسَةَ عشرَ درهماً وانصرفَ هُوَ وزَميلُه...

سَارت ليلَى ببطْء وقدْ آلمَ قدميْهاَ القيدُ الَّذِى ظلّت فِيهِ وقتاً طويلاً، وَفكّرتْ أَنْ تعدُوا مسرعَةً وتهربَ مِنْ ذلكَ الشيخِ المسنِّ الَّذِى اشتراهَا...

وقبلَ أَنْ تعقدَ العزمَ وتنفذَ مَا فَكّرت فيهِ، تعثرَ العجوزُ فِى مِشْيته، وطارتْ العصَا مِنْ يَدِه.. فأسْرَعت ليلى إليْهِ، وأنْهضتْهُ وأمْسكت لَهُ العصَا، وَأَسْندتهُ فنظرَ إليها بامتنَانٍ وَقَالَ وأنفاسُه تَتلاحقُ:

- أَشكرك يَا وَلَدِى... تبدُو طيِّبَ القَلْب، وهذَا مِنْ رحمةِ الله بِى، فَأنَا وحيدٌ فِى هَذِه الدنيَا ليسَ لِى أهلٌ وَلاَ أَوْلاد.. وقَدْ هَدَّتنِى الشَّـيْخوخَةُ والمرضُ فصرْتُ لاَ أستَطِيعُ حَتَّى خدمَةَ نَفْسِى...

شَعَرت ليلَى بعطفٍ شديدٍ عَلَى هَذا الشَّيخِ المسِنِّ، وَرأت أنه سيكُونُ مِنَ العارِ عليهَا أَنْ تهربَ مِنْهُ وَتَتْركَه...

فَقَرّرت أَنْ تقومَ بمَا يُرْضِى الله عنهَا.. وَأَنْ تساعِدَه ليساعدَهَا اللهُ فِى مِحْنتِهَا وتصِلَ إِلىَ أَبيهَا...

وَصَلت ليلىَ بصْحبةِ الرجلِ العجُوزِ، إِلىَ بيتٍ قَديمٍ فِى أَقْصى القريَةِ يبدُو الفقرُ وَالإهمالُ عَليْه...

دخلَ العجوزُ مستنداً عَلَى ذِراعِ ليلىَ إِلىَ حجرةٍ بهَا فرَاشٌ رَثٌّ بَالٍ موضوعٌ فوقَ الأَرضِ بأَحدِ الأَركانِ... سُـرْعَان مَا اسْـتلقَى عليْه، وَهُوَ مُتقطِّعُ الأَنفاسِ وَبصعُوبةٍ قَال:

- مِـنْ حَظكَ السَّـيِّئ أَننِى فقيرٌ جداً، وَقَدْ لاَ نجـدُ خبزاً نأْكله فِى بعضِ الأَيَّام... ثُمَّ طلبَ قَدَحا مِنَ المَاء...

خرجَتْ ليلىَ إلىَ فناءِ البيتِ تدورُ فيه، وتبحثُ بينَ الغرفِ الخاويَةِ الخَربَـة.. حتَّى عَثرتْ عَلَى بعضٍ مِنَ الأَوانِى النحاسـيَّةِ مُتناثرَة هنَا وَهناك..

وَفِـى أحدِ الأركَانِ، كانتْ هناكَ بعضُ الأَقداحِ الفارغَةِ المتناثِرَة... غَسَلت إحداَهَا وَمَلأتهَا بالماءِ وَهرْوَلت إلِىَ الشيخِ العجُوزِ... ارْتكزَت ليلَـى عَلَى ركبتِهَا بجـوَارِ فرَاشِ العجوزِ، وَأَسَـندتْ ظهرَهُ بذراعِهَا

لينهَضَ قليلاً، وقربَتْ قدحَ الماءِ مِنْ شـفتيْه... أخذَ العجوزُ يرتَشِفُ الماءَ وَهُوَ مُغمضُ العينيْن، والوهَـنُ يبدُو عليه. وَأخيرًا أراحَتْ ليلَى رأسَهُ عَلَى الوسَادة المُهلْهَلَةِ، وَأخذتْ تُراقبُ أنفاسَه وهو يغطُّ فِى نومٍ عَميق.

أدَارت ليلَى عينيهَا فِى الغرفةِ، فوجدَتْ فِى الطرفِ الآخرِ فرَاشًـا لاَ يقـلُّ قـذارةً ولا قِدمًا عَنْ فـراشِ العجوزِ... وظَنَّتْ أنه فراشـهَا.. وَبالرغْم مِنْ تعبهَا الشَّـديدِ إلاَّ أنهَا لَمْ تستـطِع النومَ فوقَ هَذِه الكُومةِ مِـنَ القاذورَاتِ، فَأحْضرَت بعضَ الأعشـابِ الجافّةِ مِـنْ فناءِ البيتِ، واسْـتلقَتْ فوقهَا، وسُـرعَان مَا راحَتْ فِى سُـبَاتٍ عَمِيق... استيقظتْ ليلَى فِى الصباح الباكرِ...

وَأرادتْ أنْ تغتسِلَ فَسألت العجوزَ:

– سَيِّدى... ألاَ يوجَدُ صَابونٌ بالبيت ؟!

ابتسمَ الشيخُ المُسنُّ بحسْرةٍ وهُوَ يرفعُ كَفَّهُ اليابِسَةَ:

– صَابونٌ؟ ظننتُكَ ستَسْـأَلُ عَنِ الخبزِ... أتـدْرِى بِكم يُباعُ الصابونُ هُنَا؟ يَا بنىَّ الصَّابونُ هنا لاَ يشتريهِ إلاَّ الأغنياء.

رَفعتْ ليلىَ حَاجبيْهَا بتعجُّبٍ!! وَقالتْ:

– لمَاذَا؟ مَا الذِى رَفعَ ثَمنَه؟ فتنهّدَ بوَهَن وَأجابهَا بصوتٍ خَافِت.

– لاَ أحدَ يدْرِى.. كيفَ؟ يصنعُ الصابونَ أخوانِ كَريهَانِ شِرِّيرَانِ لاَ يتورَّعَانِ عَنْ فعلِ أىِّ شَـىْءٍ... انتهزَا الفرصَةَ ورفعَا سِـعْرَه جدًا... حَتَّى إنَّ الفقراءَ مثلنَا لا يكادُ الصَّابون يمسَّ جلودَهُم فِى حَيَاتهم إلاَّ مرَّات

مَعْدُودَاتٍ.. هزَّت ليلَى رأسَهَا ببطء وذهنهَا يعملُ بسرعَةٍ وَأَجَابتْه:

- لاَ عليكَ يَا سَيِّدى .. فقدْ أرادَ الله لكَ رزقاً واسِعاً... وَلكنْ اسمحْ لِى بحريَّةِ التصرُّفِ فِى بعضِ الأشيَاء..

أغمضَ العجوزُ عينيْهِ بتعبٍ وأجابَهَا:

- يَا بُنَّى هذاَ بيتكَ، وَاعْتبرْنِى فِى مَقَامِ أبيكِ...

أَسرعَت ليلَى إلىَ بعضِ الأوانِى الكبيرَةِ النحاسيّةِ، وسَألتْ عَن



الطَّريق إلىَ السوقِ فباعتهَا، ثمَّ ذهبتْ إلى العطَّار لشراءِ الموادِّ الأوليَّةِ اللاَّزمَةِ لصنَاعَةِ الصَّابونِ، كَمَا اشْـترتْ زيتـاً ولَمْ تتمكَّنْ منَ الحصُولِ علَى الأعشـابِ والزُّهورِ الَّتي كانتْ تجدهَا في موطنهَا، فأخذَتْ بدلاً منهاَ أورَاقَ إحدَى الأشجَارِ ذاتِ الرَّائحةِ الذكيَّةِ بفناءِ البيتِ...

ثُمَّ عَادت مسرعَةً وبدَأتْ فِي عمَلِ الصَّابون...

وَضعَت ليلَـى الزيتَ فِي وِعَاءٍ كبيرٍ فوقَ النَّـار، وبعدَ فترةٍ قصيرَةٍ أَضَافـت المَادَّةَ الكيْميائيّةَ الَّتِي اشـترتهَا. وظلّتْ تُحـركُ الخليطَ إلىَ أَنْ شَـعرت بأنَّ السائلَ بدأَ يتحوّلُ إلىَ عَجينَةٍ، فأضافَت عُصارَةَ أورَاقِ الأشجَارِ العِطْرية، واسْـتمرّت تحرِّكُ الخليطَ حتَّى صارَ كالعجينَةِ،



فأطفأت المَوْقدَ وتركَتْهُ قليلاً ليبرِدَ، ثُمَّ صَبَّت الخليطَ فِى بعضِ الصَّنادِيقِ الخشبيَّةِ الَّتِى وَجدتها مُلقاةً فِى أحدِ أركَانِ البيتِ، بعدَ أنْ قَامت بتنظيفهَا جيداً...

تركَتْ ليلَى هَذِه الصَّناديقَ لتجفَّ، ثُمَّ أخذت كميَّةَ الصَّابونِ المُتبقيَة فِى الإناءِ، وَاغْتسلتْ بهَا، وغَسلت الملابسَ كمَا اغتسل الرَّجُلُ العجوزُ، وصَارَ لِلْبيتِ رَائحةٌ مُنعشةٌ نظِيفَة..

وَفِى اليوم التَّالِى قَطّعت الصابونَ الجافَّ بالسِّكينِ، ورصَّتْهُ فِى أحدِ الصَّناديقِ الكَبيرةِ النظيفَةِ، وذَهبت إلى السُّوقِ بِالصُّنْدُوقِ وَعَرضتْهُ بثمنٍ ليسَ مُرْتفعًا ...

فَسُرْعَان مَا تخطَّفَتْهُ الناسُ وَاشْتروه كُلَّه ... فقدْ كانتِ المرَّةُ الأُولى الَّتِى يجدونَ فيهَا صَابوناً بسعرٍ فِى مُتناولِ الجمِيع.. وَسرَّهُم جدًّا رَائحتُه العَطِرةُ الَّتِى كَانت تُميزُه عنِ الصابونِ الَّذى يبيعُه الأخَوانِ الانتهَازِيَّان...

حَصُلَت ليلىَ عَلى ربحٍ كبيرٍ، فاشْترَت بعضَ لوازم البيتِ والموادِّ الأوَّليَّةِ لصناعَةِ كميَّةٍ أكبرَ منَ الصَّابونِ كمَا صنَعَتْ دواءً للشَّيخِ المُسِن الَّذى شعَرَ بالسَّعادةِ لأوَّلِ مرَّةٍ فِى حيَاته...

وَعندمَا كانَ يَسْألهُ الفُضوليُّونَ مِنَ النَّاسِ: مَنْ هذَا الفَتى؟

كانَ يُجيبُهم: إنَّهُ ابْنِى، وقدْ كانَ مسافِراً عِنْدَ أهلِ أُمه بَعِيداً..

مَرَّ شَهْرٌ كامِلٌ ازْدهرَت فيهِ تجارةُ ليلىَ، واشْترتْ عربَةً خشبِّيةً لتستخدِمَهَا فى الذَّهابِ إلىَ السوقِ، حَتَّى ترتاحَ مِنْ عَناءِ حمْلِ صَنادِيق الصَّابون، ثُمَّ قصدتَ إلىَ سُوقِ المَواشِى؛ لتشترىَ فرساً ليجرَّ العربة

الخشـبيَّةَ فكَانت مُفَاجأةً لَهَا أنْ وجدَت فرسَـتهَا الشهْباءَ فِي السوقِ مَعْروضةً للبيع فاشترتْهَا وَعادت بِهَا وَهَى تكادُ تطِيرُ فَرَحًا.

أمَّا فهد فقدْ ظلَّ يحاولُ اللحاقَ بليلىَ فِي تلكَ اللَّيلةِ المشْئُومةِ حتَّى وصلَ إلـىَ البَلْدةِ الغربيّة... وَظلَّ كلَّ يوم يتجوَّلُ فِي الطرقَاتِ يبحَثُ عَـنْ ليلَى. ولحسـنِ الحظِّ كانَ فـِي جَيبهِ بعضٌ مِنَ المـالِ عندمَا غادرَ البيتَ، فكانَ يشترِى لنفسهِ ولفرسِهِ «ليْل» الطعامَ.

وفـِى أحدِ الأيـام وجدَ الناسَ فى السـوقِ يتزاحمـونَ ويتصَايحُونَ حولَ عربَةٍ خشـبيَّةٍ يجلسُ فوقَهَا فَتًى يبيـعُ بضَاعَته... وفجأةً أخذَ لَيْـلٌ يصهَلُ ويتحـرَّكُ مَكَانه قلقاً، ويدورُ فانتبهَ فهـد إلىَ أنَّ العربةَ الخشـبيَّةَ مرْبُوطةً بشـهْبَاءَ فتعالتْ دقّاتُ قلبِهِ وأيقَنَ أنَّه اقتربَ مِنْ مكانِ ليلى...

وبعـدَ فترةٍ قَصيرةٍ انتهَتْ ليلَى منْ عملهَـا وانْصَرفت فِي طريقهَا إلَى البيـتِ فتبعَهَا فهد، وَهُوَ يظُنهَا أحدَ الفتيانِ فَمَا إنْ خرجوُا مِنَ السـوقِ إلـى الطرقِ الجانبيَةِ المُتَعرجَةِ، حتَّى شَـعَرت ليلَى بـأنَّ أحداً يتبعهَا فاسْتَدَارت وَنظرتْ خَلْفها.. عَلَت الدهشةُ وجهَهَا وَصَاحت:

– فهد أخِي.

وَاندفَعَ كلٌ منهمَا تجاه الآخر وَليلى تبكِي، وفهد لا يصدِّقُ نفسَه وَكَأنه فِي حُلْم...

وَأخيراً تمالكَ نفسَه وَقَال لَهَا:

– تَتَخفِّينَ فِي مَلَابس الفتيـانِ كَمَا عَلَّمتكِ... كَفكفتْ ليلَى دموعهَا



وَأجابته:

- سَأُخبركَ بكلِّ شئٍ ولكنْ تعالَ معى فنحنُ قريبَان منَ البيتِ...

جَلَسَ الإثنانِ بجوارِ الشّيخ بعدَ أن اطْمَأَنَّا عَلَى سَلامتهِ، وَرَاحَ كلُّ واحدٍ منهمَا يقصُّ عَلَى الآخرِ مَا حدثَ لَهُ، والشيخُ يتابعهمَا بعينيْهِ مُحَاولاً فَهْم مَا يقولاَنِهِ. وَأخِيراً سَادَ الصمتُ وأطْرقَا يُفكرَانِ فيمَا يجبُ عليهمَا فِعْله .. قطعَ فهد الصمتَ قَائِلاً:

- لاَبدَّ أنْ تَعُودى إلِىَ وَالدكِ مَلكِ البلدةِ الشَّرْقيّة...

التفتَتْ ليلىَ إلَى الشيخ المُسِنِّ المسْجَى أمامهَا قائلةً:

- ولكنْ لاَ أستطيعُ تركَ هذاَ المِسْكين الَّذى أحسنَ إلىَّ، وتركَ لِى حريَّةَ التّصرُّفِ فِى شُئونِ حَيَاته..

فقالَ الشيخُ المُسِنُّ بوَهَن:

- لاَ عليكُمَا.. اذهبَا وَلكنْ لاَ تغِيبَا عَنَّى فترةً طويلَةً... سَأُحاولُ أَنْ أتدبَّرَ أمْرِى لحينَ عَوْدتكمَا.. ودَّعَا الشيخَ المُسِنَّ واعْتلَى كلٌّ منهُمَا صَهوةَ جَوَادِه وَانطلقَا...

وَفِى الطريقِ عرجَا عَلَى السوقِ لشرَاءِ بعضِ مَا يلزمهمَا فِى السفرِ، وَجلسَا ليَستريحَا.. وكانَ يجلسُ إلى جَوارهَما بعضٌ مِنَ الجنودِ فسمِعَا هَمسَ الجنودِ بأنه صدرتِ الأوامرَ مِنَ الحاكمِ باعدادِ الجيوشِ لغزوِ البلدةِ الشَّرقيةِ المليئةِ بالخيراتِ.

فقالتْ ليلىَ لفهْد وَهِىَ تَنْتَحِبُ:

- بلَدِى وأَهْلِى ووَالدِى الحَاكم سَيُصيبهُم الويْلاتُ ؟! ورَفعت وجههَا

المبلَّلَ بالدُّموع إلَى فهد وَسَألته:

– وَمَا العملُ الآنَ ؟.

– قَالَ فهد وَهُوَ يُفكر:

– لابدَّ أَنْ ننطلِقَ سَريعاً للبلدَةِ الشَّرْقيةِ، ونُخْبرَ الحاكمَ بكلِّ شَيْء... وَبمجرَّدِ أَنْ دخلاَ البلدةَ الشَّـرقيةَ اتخذَا طريقهمَا إلَى السُّـوقِ، وقلبُ ليلَـى يختلِجُ مِنْ شـدَّةِ الانفعَال... كانَ التعبُ والجـوعُ قَدْ نَالاَ منهمَا الشَّيءَ الكَثيرَ فَمَا إنْ وجدَ فهد نفسَه أمامَ أحدِ المَطاعمِ حتَّى التفتَ إلَى ليلَى قائلاً: لنقِفَ هنَا لنأكلَ شيئاً أولاً.

صَاحتْ ليلى: فلنذهبْ لقصْرِ الملكِ، وهناكَ سـنجدُ أَشْهَى الأطعمَةَ وَأجودهَا، فأجابهَا فهد وهُوَ يقفزُ مِنْ فوقِ جَوادِه:

– سَـأموتُ جوعاً.. هَيَّا لنأكلَ الآنَ، فليسَ مِنَ اللاَّئقِ أَنْ ندخلَ إلَى قصرِ الملكِ لأولِ مرةٍ ونطلبَ الطَّعَام...

فَتبعَتْهُ عَلَى مَضَضٍ... دخلاَ سَويًّا تَاركينَ شهْبَاء وَليْل مَعاً عندَ البَابِ بعدَ أنْ وضعَا أمامهمَا كومةً مِنَ الأعشابِ الَّتِي حملُوهَا مِنْ أَحْراشِ الغَابةِ...

كَانـتْ ليلَى تجلـسُ أمامَ طعامِهَا بغيرِ شَـهيَّةٍ وَلاَ تـكادُ تأكلُ منْهُ شيئاً.

فاسـتحثَّهَا فهد لتفـرُغَ مِـنْ طعامِهَا سَـريعاً فتنهَّـدَت وَصَاحت بِضَجَر:

– لاَ أُريـدُ طعاماً... أُريدُ العودةَ إلَى أَبِى المَلِكِ، فسـمعَهَا صاحبُ المطْعَمِ واقتربَ منهمَا ببطءٍ قائلاً:

- قَدْ أَسْتطيعُ مُسَاعدتكمَا وَلكِنْ دعوُنِى أفهمُ الموضُوعَ بالتَّفْصِيل...

رَفعَ فهد حَاجبيْهِ باسْتغرابٍ ثُمَّ ردَّ بِجَفَاء:

- وَمَا شَأْنكَ أنتَ بتفاصِيلِ الموْضُوع ؟! !

فقالَ الرجلُ مُتلعْثِماً:

- حَسَناً.. حَسَناً.. وَلكنِّى أعرفُ قصةً قديمَـةً، فللمَلكِ ابنةٌ كبيرةٌ خُطِفـت وَهـى طفلةٌ صغيرةٌ ولَمْ يَسْـتَطِع أحدٌ العثورَ عليهَـا... فربمَا... ربمَا... ولاَذَ بالصَّمتِ وهُوَ ينظُر مليًّا لليلَى فَشَجَّعته ليلَى بانفعَالٍ... ربمَا مَاذَا..؟ وخلعتْ عمامتَهَا عن رأسهَا فتساقطَ شعْرُهَا الأسودُ عَلى كتفهَا.

فتشَّجع قَائِلاً:

- ربمَا تكُونينَ هِىَ فأنتِ شديدةُ الشّبهِ بأختكِ الأمِيرة..

قفزَتْ ليلىَ مِنْ مكانهَا وقدِ اشْتدّ انفعالُهَا:

- أُختِى؟.. لِى أُخت؟ هَلْ رأيتهَا؟

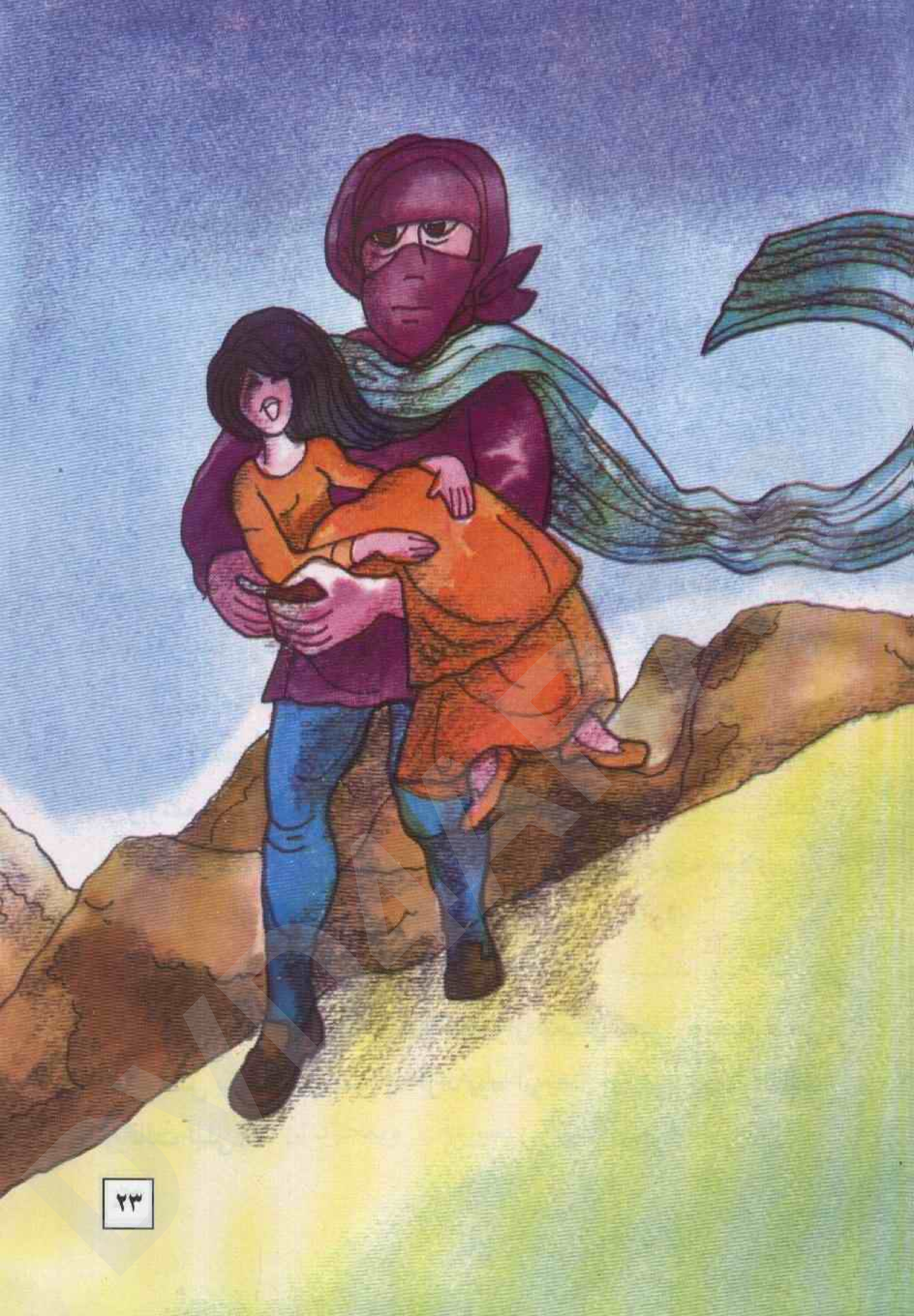
أمسـكَ فهد بذراعهَا وأجلسهَا، ليهدِّئَ مِنْ رَوْعها، وجلسَ صاحبُ المطعم أمامهَا فَسَأله:

- وكيفَ تستطيعُ مُسَاعدتنا فِى الوصولِ إلىَ المَلك ؟

أَجَابه الرجلُ:

- كانَ للملكِ طفلةٌ صغيرةٌ عندمَا مَرضت الملكةُ بَعْدَ إنْجَابهَا لِلطِّفلةِ الثَّانيةِ، انشغَلَ الجميعُ بهَا ولكنهَا قَضتْ نحبهَا ولَمْ يَفق الجميعُ مِنَ الصدمَةِ الأُولى إلاَّ عَلَى صدْمةٍ جديدَةٍ وَهِىَ اختفاءُ الطفلةِ الكَبيرَةِ..

وَمِنْ يومهَا والملكُ فِى حالةٍ نفسـيّةٍ سَيِّئةٍ وأطلقَ يدَ وزيره المخَادع



فِـى كلَّ شـئونِ الدَّوْلة... ولهذَا الوزيرِ ابناً شـاباً مُتغطرسـاً وُصُولياً اسـتطاعَ بدَهَائه أنْ يسـتميلَ قلبَ الابنةِ الصُّغرى لتوافقَ عَلَى زَوَاجه منهَا، وبذلكَ سيفُوزَ هُوَ وَأبُوهُ بحكْمِ البلْدَة...

وتنهَّدَ بأسَى وقال:

- كُنت كَبِيرَ الطُّهاةِ، وكانَ الملكُ يُحبنِى وَيثقُ بِى ثقةً عَمْياءَ، وَقَدْ دبَّرُوا لِى مُؤامرةً تهدفُ إلى إبعادِى عَنِ القصرِ، وَلاَ أدرِى كيفَ وَقَعْتُ فِى حَبَائلهَا بكلِّ بساطَةٍ وَزَفر زَفرةً حَارَّة، واعْتدلَ فِى جِلْسَتِه...

فَقَد جَاءَنى الوزيرُ شـخصيًّا، وأعطَانِى بعضَ المسَاحيقِ الَّتِى ادَّعَى أنهَا بُهَاراتٌ جَدِيدةٌ مُحَببةٌ إلَى الملكِ، قدْ أحْضروهَا مِنْ إحْدى البلادِ الجنوبيّةِ، أثناءَ رحـلاَت الصَّيد، وأمرَنى بإضَافتهَـا إلَى طعامِهِ. ثم اتهمُونِى بمحَاولةِ دَسِّ السُّم لمولاَى. وبعدَما أُرسِلتُ إلى السِّجنِ وَحُكم عَلَّى بالإعدَامِ، ساعدَنِى الوزيرُ عَلَى الهربِ إلى هُنَا، وأمرُونِى بإطباقِ شَفَتىَّ وإلاَّ سيتمُّ تَسْليمِى للسِّجنِ ثانيةً، وتنفيذِ حكْمِ الإعْدَام...

وارتفعَ نَشِيجُ الرَّجُل:

- أنَا بَرِىء.. بَرِىء.. أقسـمُ أننِى لَمْ أُحاوِل يوماً خِيَانةَ مَوْلاى، ثُمَّ انخرَطَ فِى بكاءٍ مُرٍّ التفتَتْ ليْلى إلى فهد...

ثُمَّ التفتَتْ إلى الطَّاهِى الَّذى اسْتطرَدَ...

- عَلمتُ أنَه أَحْضر أحدَ أعوَانِهِ الأَشـرَار ليحـلَّ مَحلى، وَيصبحَ طاهِى المَلك حتَّى يكونَ تحتَ أَمْرِه إذَا أرادَ يوماً أَنْ يدسَّ أىَّ شىءٍ بطعَامِ المَلك.

قَالتْ ليلى:

- أعِدُك أمامَ اللهِ أنَنى سَأظهرُ براءتكَ للملك...

صَاحَ فهد: هيَّا بسرعَةٍ فليسَ لدينَا مُتّسع مِنَ الوَقْت...

قَفـزَ هُوَ وليلى إلى أحدِ الجوادَيْنِ ووقَـفَ الطَّاهى مُتَحيرًا لا يَدْرى كيـفَ يَعْتلى صهوَةَ الجَواد.. فاسـتاءَ فهد ونزلَ يُسَاعِدُه وبعدَ جُهْدٍ جَهيدٍ، دفعَهُ فهد أعلَى الحصَانِ فسقطَ أرْضاً إلَى الجَانِبِ الآخرِ... ضَجَّ الإثنانِ بالضَّحكِ فخجلَ الطبَّاخُ بشـدَّة حتَّى احمـَّر وجهُهُ، فاقتربَتْ ليلى مِنهُ مُحَاولةً الكَفَّ عَنِ الضَّحِك...

وَربتت عَلَى كَتِفِه وَقالتْ وَهِىَ تُغَالِب الضحِك... هَلْ شَعرتَ بِألَم؟.. هيَّا انْهَض وَسنحاولُ ثانيةً...

حَاولاَ مَعاً رَفْعه وهُوَ يُتَمْتمُ حَتَّى استقرَّ أَخيراً عَلَى صهْوةِ الجَوَاد... فضجَّ الإثنانِ بالضَّحكِ ثانيةً، فقدْ جلسَ فِى وضع مَعْكوسٍ وَجْهه مُتَّجهاً إلى ذيلِ الحصَانِ. أخذَ الطَّاهى يصيحُ خَانِقاً انزِلُونى..

وَأخيراً فِى المحَاولةِ الثَّالثة اسـتطاعَ الركـوبَ فِى الوضْعِ الصَّحِيح وانطلَقَ الجميعُ فِى طرِيقِهِم...

وَمَا إن اقْتربُوا مِنْ قصرِ الملكِ، حتَّى أشـارَ لَهُـم الطَّاهى بالدورَان إلَى الخَلْفِ، وَتركُوا الجيادَ وتسـلَّقُوا الجدَارِ حيثُ فناءٍ فَسِيح بِهِ عدةُ غُرفٍ لِخدمِ القصْـرِ. اتَّجَه الطَّاهِى يتبعُهُ الجميعُ إلى إحْدَى الغرفِ، وطرقَ بابَهَا برفْقٍ ... أتَى صوتٌ مِنَ الدَّاخلِ يُغَالبه النعاسُ،... مَنْ... أجابَهُ الطَّاهِى بصوتٍ خَفيضٍ مَمْلوءٍ بالخوفِ:

- افتحْ يَا صديقِى البستَانِى بسُرْعةٍ... وبمجرَّدِ أَنْ فتحَ البابَ اندفعَ



الثلاثةُ إلى الدَّاخلِ وأوصدُوا البابَ دُونَهم... ووَقَفَ البُسْتانِىُّ يُطالعهم بذهولٍ وهُوَ لاَ يفهمُ شيئاً، اقتربَ مِنْهُ صديقُه الطَّاهِى وَأمسكَ بِكَتفه وهزَّهَا برفقٍ وَهمسَ:

- أَفقْ فنحنُ فِى حاجةٍ لمسَاعدتكَ يا صَدِيقى...

وبعدَ أنِ استردَّ البستانِىُّ جَأْشه وقصُّوا عَليه قِصّتَهم تنهدَ بِارْتِيَاحٍ:

- إذَنْ سَيْظهر الحقُّ..

أَجَابه فهد بصوتٍ عميقٍ لابدّ أَنْ يظهرَ الحقُّ مهمَا تَأَخّر..

فِى صبيحَةِ اليوم التّالِى كَانت الأَميرةُ الصغيرةُ تتمشَّى بحَدِيقَةِ القصْرِ، فقابلهَا البستَانى مُرَحِّبا مُبَشِّراً:

- مَرْحباً بموْلاَتى الأَمِيرة... قَدْ غرسْتُ أَجملَ الأزهَارِ فِى أَقْصَى طَرفِ الحديقَةِ لأزيِّنَ بهَا القصرَ فِى يوم عُرْسكِ...

فابتسمَتِ الأميرةُ... وَانطلقَت وَهى تَتساءَلُ ضَاحِكةً:

- أينَ تلكَ الأزهَارُ ؟

وبالقربِ مِنْ حوضِ الأزهَارِ، كانَ الثلاثةُ يقفونَ خلفَ الأشجَارِ الكثيفَة يطَالعونهَا، كانتْ شَدِيدَة الشّبهِ بأختهَا بشكلٍ أَثَارَ عَجبَ الجميعِ، فاندفعَتْ لَيلى مِنْ مَخْبئهَا يتبعهَا فهد وَقدْ هزّهَا الانفعَالُ:

- أُختى... أُختى الصَّغيرة، أَنا أُخْتكِ التَّى خُطفْتُ منذُ سنواتٍ طوِيلةٍ.

فتحَتِ الأميرةُ عينيهَا، غيرُ مُصَدقةٍ نفسهَا... إنَّهُ نفسُ الوجهِ، ونفسُ الشعرِ، ونفسُ الطُّول...

خرجَ الطَّاهى مِنْ مَكْمنهِ، وأمسكَ بذرَاعِ الأميرةِ وقالَ بسرعَةٍ:

- وأنا بَرىءٌ يَا أميرتى وسأقصُّ عليكِ كلَّ شىءٍ ...

- جلسَ الأربعةُ فوقَ العشبِ وأخَذَ كلٌّ منْهم يَسْردُ جزءاً مِنَ القصّةِ، حتَّى وصلُوا إلى آخرهَا... بكَتِ الأميرةُ وعَانقتْ أُختها، وشَكَرت الطَّاهِى كَثِيراً وَهى تقولُ ودُمُوعُهَا تتسَاقط:

- الحمدُ للهِ الذِى أظهرَ كلَّ شىءٍ قبلَ أَنْ أتزوّجَ بذلكَ الوغْدُ الشِّرّير.

وَهُنَا انشقّتِ الأرضُ عَنِ ابنِ الوزيرِ الَّذِى جاءَ يبحَثُ عَنْ خَطِيبتهِ، فَرأَى وسمعَ كلَّ شىءٍ وصَاحَ بصوتٍ ملأهُ الحِقدُ والكَرَاهيَة.

- مَهْلاً... مهلاً...؟ إلىَ أيْنَ؟ هَلْ تظنُّونَ أنِّى من السَّذاجةِ والبلاَهةِ إلىَ هذَا الحدِّ؟. لنْ أتركَ أحدًا منْكم يَخْرج مِنْ هذَا المكانِ.



- وأشْهَرَ سَيفَهُ وتقدّمَ وتعالَت الصرخَاتُ فانطلقَ فهد إلى ابنِ الوزيرِ وعَاجَله بضربَةٍ قويّةٍ أوْقعتْهُ أرضاً ثُمَّ طارَ السـيفُ مِنْ يدِه... ثُمَّ جَذَبه مِنْ مَلابسـه وَأوْقفـه أمَامَهم، وصفعَهُ عَلى وَجْهه مِرارًا وسَحَبه إلى داخلِ غُرفةِ البُسْـتانى، وَأجْلسه عَلى أحدِ المقاعِدِ وكبّلَهُ بالحِبال.... وجلسَ الجميـعُ أمَامه فِى انتظارِ الأميرَةِ الصَّغيـرةِ الّتِى انطلقتْ إلَى القصْرِ، ودَخَلت مَخْدعَ وَالدهَا وبرفْقٍ أخْبرتـهُ بكلِّ شيءٍ...

نهضَ الملكُ مِنْ فراشِ المرضِ وَاتّجه مَعَ حرسِـهِ الخَاصِّ إلىَ غرفَةِ البستَانِىِّ وَما إنْ رأى ابنتَهُ ليلىَ حَتّى تعانقَا وبكَى الاثنانِ بكاءً أدْمَى قلوبَ الجميعِ، ثُمَّ أجلسُوا الملك حتَّى يستريحَ، فاندفعَ الطَّاهى يجْثُو عَلى رُكْبتيْهِ أمامَ الملكِ، ويبكي وَيحْكِي مَا فَعَله الوَزير...

التفتَ الملكُ إلى ابنِ الوزيرِ الّذِى أطلّ الخوفُ مِنْ عينيْه، ثُمّ هزّ رأسَه عدّةَ مرَّاتٍ كمنْ يُقرّر شيْئًا، ثُمَّ أمرَ الجندَ بإلقاءِ القبْضِ عليْهِ وَعلَى أبِيه.

وأمرَ الملكُ بإحضَار فهد وقَالَ لَهُ:

- أُريد أَنْ أُكَافئَكَ عَلى حسْنِ صَنيعكَ فاطْلبْ مِنِّى مَا تشَاء...

انحَنى فهد بأدبٍ قَائِلاً:

- مَوْلاَى المَلكُ... يعلمُ الجميعُ مَدَى كرمكَ وحسْنَ مُعَاملتكَ لشعبكَ، ولكنْ اسـمحْ لِى بتأجيلِ طَلَبى كَىْ أذكرَ لكَ شـيئًا أهَمّ وأخْطر مِنْ ذلكَ بكثيـر.. فأعْداؤُكَ بالبلدةِ الغربيّةِ، يعدّونَ العدّةَ للحربِ والاسـتيلاءِ عَلَى بلادِكُم الآمِنةِ.

صَدرتْ عَنْ ليلى صيحَةٌ مكتومَةٌ، وَالتفتَتْ إِلَى أَبيهَا وَقَالت:

- يَا ويْلى.. كيفَ نسِيتُ هذَا الأمرَ الخطيرَ، اكفهرَّ وجهُ الحاكمِ ونظرَ إلىَ فهد وليلى مُتَسَائلاً:

لَمْ يحدثْ مِنْ جَانبنا إساءةً لهذِه البلدةِ الشّقيّة، فكيفَ تُفكرُ فِى شنِّ الحربِ علينَا؟!

فذكـرَتْ لهُ ليلى كيفَ اختطَفُوهَا وباعُوهَا فِى سـوقِ الرَّقيقِ، فغضبَ الملكُ جدًّا ورفعَ عَقيرَتَهُ قائلاً:

- جهِّزُوا الجيوشَ بسـرعَةٍ، وسنذهبُ لنُؤدِّبَهم فِى عُقْرِ دَارِهم حتَّى يكونُوا عِبْرَةً لكلِّ منْ تُسـوِّلُ لهُ نفسُـه بالخطْفِ والسّـلْبِ والنَّهْبِ دُونَ مُراعَاةٍ لحقوقِ الإنسَانِ الذى كَرّمهُ الله تَعَالى..

وَسُـرْعان مَا تمَّ إعدادُ الجيوشِ، وكانَ فهد قائداً على أُولى الكتائبِ الَّتِى سـتهَاجِمُ تلكَ البلدةِ الَّتِى لا تعرفُ أبسـطَ مَعَانـى الرَّحمَة، ثمَّ انْطلَقَ الاثنانِ تحتَ جُنح الظلام حتَّى وصلاَ إلى البيتِ الَّذِى أقامتْ فيهِ ليلَى معَ الشـيخِ العجوزِ الَّذى اشتراهَا مِنْ سوقِ العبيدِ، فرفعَتْ ليلى صوتَهَا وَهى تدقُّ البابَ:

- افتحْ لِولدك أيَهَا الشيخُ العجوزُ.

- ففتحَ البابَ وظهرَ الشيخُ العجوزُ وَآثارُ النعاسِ تبدُو عَلى وجْهِه...

فقالَ فهد وهُوَ يَجْذبهُ إلى صهْوةِ جَواده:

- أسـرعْ قبلَ أنْ نشنَّ الهجومَ فِى الفجرِ عَلَى البلدةِ، جلسَ الشيخُ العجوزُ خلفَ فهد وَتشَبثَ به جيِّدًا وَانطلَقَ الجميعُ فِى طَريقهم إلىَ البلْدةِ الشّرْقيّة.

وقبلَ الفجرِ شـنّتِ البلدةُ الشـرقيةُ الحربَ عَلى البلـدةِ الغَربيّة،

وَأبلَى الجميعُ بلاءً حسـناً، وعَادُوا مُنْتصريـنَ... ثُمَّ التفتَ الملكُ إلى فهد وصَافحه بحرارةٍ شديدةٍ قائلاً:

- أنتَ بطلٌ عظِيمٌ وقدْ أَسْديتَ لِى أعظمَ الخدمَاتِ ولمْ تطلبْ مِنِّى شيئًا...

- فانحنَى فهد أَمَامه ثُمَّ قالَ بأدبٍ:

فليسمحْ لِى مولاَى المَلك بطلبِ شيءٍ...

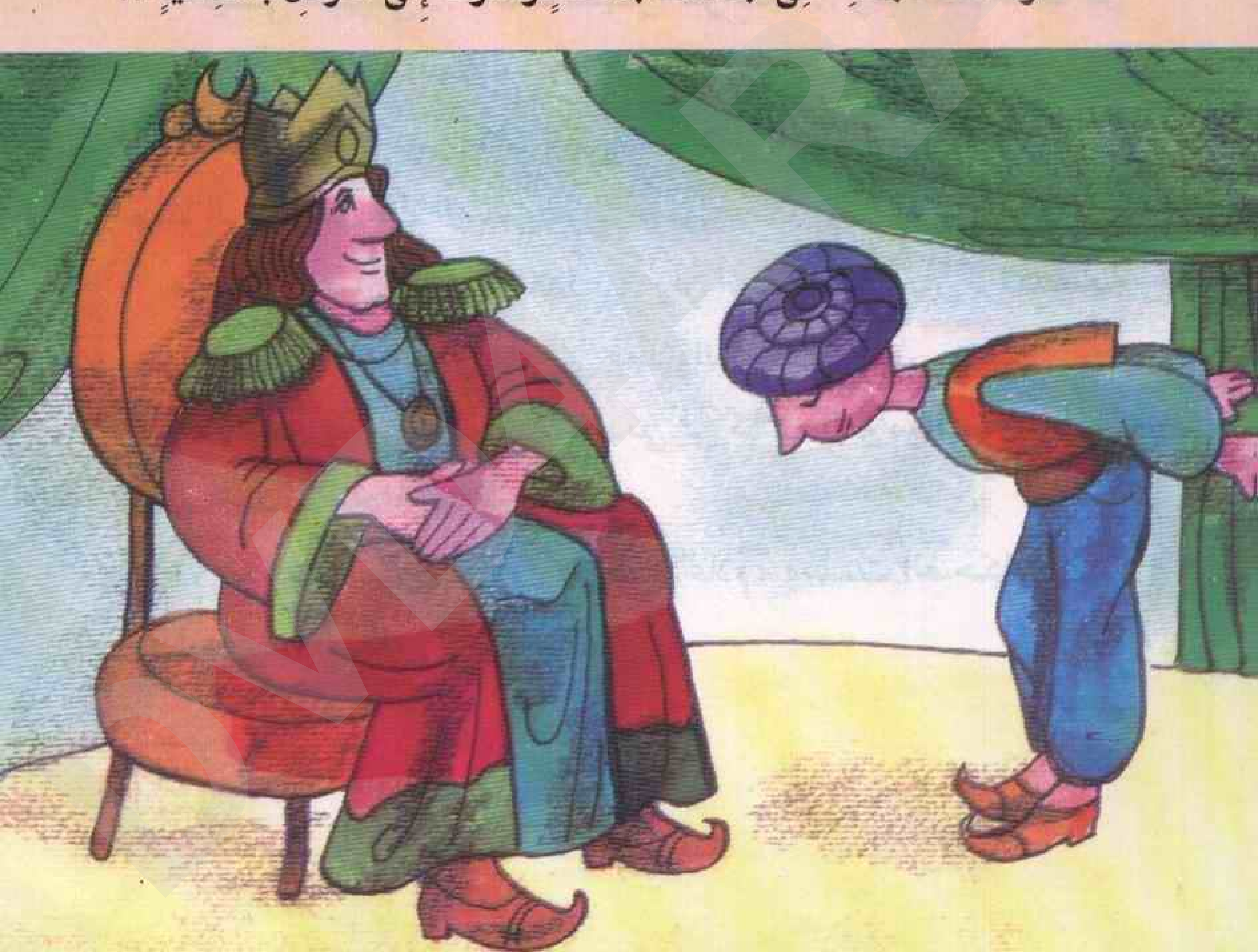
ضحكَ الملكُ ورفعَ صَوْته وهُو سَعيدٌ:

- اطلبْ مَا شِئت...

تنحنحَ فهد ونظرَ للأرضِ بخجَل وقالَ:

- اسمحْ لى يَا مولاَى أَنْ أطلبَ منكَ يدَ الأميرةِ ليلى وأعدكَ أَنْ أكونَ لهَا نِعْم الزَّوْجُ طِيلةَ حيَاتى ...

نظرَ الملكُ لابنتهِ الَّتِى ابتسمَت بسعادةٍ ونظَرت إِلى الأرضِ باسْتِحْيَاءٍ..



فَأُقيمـت الأفراحُ وتَعَالتْ صيحاتُ الشـعبِ بالفرحَـةِ بالنصرِ وبعودَةِ الأميرةِ، وزواجهَا مِنْ بطلٍ مِغْوارٍ حَقَّق نصرًا عظيمًا للوطَنِ...

وكانَ حفلاً عظيمًا شَـهدَته البلدَةُ كلُّها، وكَانت ليلى تَرْفلُ فِي ثوبِ زفافهَا كالفراشَةِ الجميلَةِ وبجوَارهَا يقفُ فهد الذِى همسَ فِى أذنهَا:

- أعددتُّ لكِ مُفَاجأةً ستزيدُ فَرْحتك.. انظرى خَلْفَكِ..

نَظَرَتْ ليلى فإذَا بأمِّ فهد التِى تولّت تربيتهَا وأَسْبغت عليهَا مِنَ العطفِ والشَّفقةِ مَا جعلهَا تظنُّ أنهَا أُمها... احتضنتهَا ليلى وَهى تصيحُ:

- أُمى... أُمى الحنُون.

أمسَكت الأم بوجـهِ ليلى بيـنَ كفيهَا ونظَـرت مَلِياً إلـى عينيهَا السودَاوتيْنِ الوَاسِعتيْنِ.. وقالتْ:

- ليلـىَ حَبيبتى... تألمتُ كثيـرًا لفرَاقكما... وَقدِ انتقمَ الله لنَا مِنَ الرجلِ الآثم الذِى اختطفكِ وَلنْ يعودَ مرةً أُخرى ...

قبلتهَا ليلَى وقالتْ: يكفِى إننِى عدتُّ لأبِى، وإنكِ معنَا هنَا وسَتظلينَ معنَا إلَى الأبدِ.. قالَ الملكُ بصوتٍ عَميق:

مِنَ الآن لابدَّ أَنْ يسـودَ العدلُ ... ولنْ أسـمحَ لأحدٍ بأنْ يرتكبَ أيةَ جريمَةٍ وَلوْ بسيطةٍ... وأشارَ إلى فهد واستطْرَدَ:

وَسَـتكونُ مَعى -دائمًا- لتساعدنِى فى كشفِ المؤامرَاتِ والدَّسَائسِ لتعمَّ السعادةُ أنحاءَ البلادِ..

ثُمَّ صَدَحت المُوسـيقَى وَارْتفعتِ الأعلامُ، وعَلـت الضحكاتُ حَتَّى وَصَلت عنانَ السَّماء .